

موت الفلاح محمود



... ومن الظلمة ، عبر الحقل ، غتت قبّره
وخبّت في مسجد القرية ، أضواء الشموع
وتدلى رأسُ محمودٍ : « ي نابيع الربيع
أسيّ الأرض ! ي نابيع الربيع
نضبت في قلبي الباكي ، الصديق
وزهورُ المقبرة
وحجارُ القنطرة

في طريق الحقل ما زال ، وما زال صديقي
« يوسف الأعرج » يستجدي ، كشحاذٍ عريقٍ
ورغيفُ الخبز ، والمحراث في زاوية الكوخ العتيق

والدروب الصامته
وظلال السنديان المائه
حول رأسي - أسيّ الأرض - نجوم
والنجوم
واغاني طفلي الصغرى ، نجوم
حول رأسي .

وبنفس
مسجدُ القرية ، والمحراث ، والحقل يموت
وصديقي « يوسف الأعرج » والصمت المقيت

عبد الوهاب البياتي

بيروت

الاغريقي القديم . كانت أحاديثه دروساً ، ومحاوراته حكماً
وعبراً ، ومجالسه حلقات للمناظرة ، وهؤلاء المعلمون يطبعون
نفوسهم في نفوس تلاميذهم ويكتبون آراءهم على صدورهم .
ولا أعرف أحداً جالس السكاكيني ، ولو مرة ، الا خرج بزاد
من المثل الانسانية الكريمة والأدب الرفيع . فأي اثر مطبوع
او مخطوط اعظم من هذا الأثر العظيم المستور ؟

لو ظهر السكاكيني في امة تعرف للمفكر مقامه ، وفي
ظروف تكتمل فيها المواهب ، وفي احوال تكون فيها
تكاليف الحياة هينة يسيرة ، لرأينا فيه كاتباً من طراز الكتاب
الغربيين المبرزين . ومع ذلك فان النسمات التي هبت من اعماق
هذه النفس الخيرة الكريمة تملأ جونا ، وستملأه مدة طويلة من
الزمن ، عطراً شديداً تطيب في جوه الحياة الملوثة بالخبائث .
وهذه رسالة الأديب الحق التي حملها السكاكيني مدة تزيد عن
نصف قرن .

ويلاحظ في آثاره اتجاه الى الابحاث اللغوية والأدبية . وهو
الاتجاه الذي سار فيه انسياقاً مع المهنة التي اختارها ، والذي
اوصله الى عضوية مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٤٧ .
وهذه الآثار - وان كانت تمثل ناحية من نواحي نشاطه - لا
تعطي صورة كاملة عن شخصيته . فأدبه الذي يصور نفسه
الانسانية النبيلة ، المتعالية عن السفساف والصغار ، المبرأة من
الهوى والاضلال ، المفعم بنوازع الحب والخير المسترشدة بنور العقل
في سلوكها ، هذا الأدب عاش معه ومات معه . ولم ينقص
السكاكيني البيان لتصوير ذاته ونزعاته المثالية . ولم تعوزه
الشجاعة الادبية . ولكن هي طبيعة الظروف التي احاطت به
شاباً وشيخاً ، وحثمت عليه ان يوارى آماله وآلامه ، ويكبت
نزعاته ، ويكبح ثوراته العقلية والنفسية . ونقول انصافاً
للتاريخ : إن السكاكيني ضحى كثيراً من طموحه ورغباته ،
وألزم نفسه كثيراً من القيود ، في سبيل اداء واجبه نحو أسرته
التي احبها حباً بالغ الحد .

ومع ذلك كله كان السكاكيني مربياً ومعلماً من الطراز

اسحق موسى الحسيني